سلسلة

إقــــرأ . . . وإتعــظ

# ٢

# الغنى المغرور

بقلم

عاطف عبد الفتاح

رسوم

عبد الرحمن بكر



دار

التقوى

للنشـــر والتوزيـــع

٨ شارع زكى عبد العاطى من شارع عمر بن الخطاب
عرب جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
ص . ب : ٦٧١ العتبة - كود ١١٥١١ ت : ٢٩٨٩٩٤٣

# الغنى المغرور

كآن فى قوم نبىَّ الله موسى رجلٌ . . هذا الرجلُ أعطاهُ اللهُ مالاً كثيراً جداً .

إنه الآنَ يجلسُ في قصرِه بالليل ، يلبسُ الحريرَ ، وعندَه الذهبُ كثيرٌ ، والخدمُ حولهُ ، ، ،

سأل أحد خدمه : كيفَ الأحوالُ الآن ؟

وتناولَ فاكهةً يأكلُ منها .

قال له : إن خزائنك يا سيدى مملوءةٌ . . لم نعدْ نعرفُ أين نضعُ مالكَ ؟

فابتسمَ قارونُ بغرورٍ ، وقال له : عظيمٌ . . . عظيمٌ .

أكمل الخادمُ : إن مفاتيح صناديقِكَ يا سيدي كثيرةٌ جداً . . والرجالُ الأشداءُ الذين يحرسون مالكَ لا يقدرون علي أن يحملوا كل هذه المفاتيحِ .

ضحَك قارونُ بصوت مرتفع وقال : فكيف لو حملوا صناديق المال ؟ ! ونظر الي خادمٍ آخر ، وسألهُ : ماذا يقولُ الناسُ عني ؟

قال الخادمُ : إن الناسَ فى كلِّ مكانٍ يتكلمون عنك يا سيدى

قال قارون : وفيما يتكلمون ؟

قال الخادم : يحقدون عليك ، ويحسدونَك علي كلِّ هذا المالِ .



نظر قارونُ بشدةٍ الي خادمهِ ، وقال يحسدونني علي هذا المال ! سيحسدونني أكثر عندما أخرجُ عليهم في موكبيِ العظيمِ

قال الخادم : ومتى ستخرجُ فى موكبكَ ياسيدى ؟

قال قارون : قريباً .. ثم ما دخلُك ؟ لماذا تسألُ ؟

قال الخادم : لم أقصِدْ يا سيدي .. لقد كنتُ متشوقاً إلي سماعِ هذا الخبرِ السعيدِ .

فقال قارون بغضب شديد : لا تتشوقْ .. ولا تسأل وإلا ..

قال الخادم معتذراً : أعرفُ يا مولاي .. صدْقني .. إنني أحبُّك .. وأحبُّ أن أكون خادماً لك يا سيدي . وهل هناكَ من هو أفضلُ منك ؟

قال قارون : وموسي ؟

قال الخادم : موسي يا سيدي نبِّي .. لكنَّه ليسَ غنياً مثلَك .

قال قارون : ألا يحرضُ الناسَ عليَّ ؟

قال الخادم : لا أظنُّ .

قال قارون : ألا يحقدُ عليَّ ؟

قال الخادم : لا أظنُّ .

قال قارون : لا تظنُّ .. لا تظنُّ ..

قال الخادم : سيدي .. أنتَ اليوم متضايقٌ .

قال قارون : لا شأن .. أجبني فقط .

قال الخادم : سيدي .. إن موسي نبيٌّ .. والأنبياءُ لا يحقدون

فقال قارون وهو يضم شفتيهِ : لا أظنُّ .

استأذنَ الخادمُ ، ونادي قارونُ : هاتوا الشرأب أيها الحمقي . احذروا غضبي .



وعلي الفور جاءَ الشرَابُ ، وارتفعت الضحكاتُ داخَل قصرِ قارونَ .

قال قارونُ لأحد أصدقائِه : هؤلاءِ الخدمُ رغم كثرتِهم ، متعبونَ جداً .

قال الصديق : لا تغضبْ نفسَكَ يا قارونَ .

قال قارون : ألا يعرفونَ أنهم خدمٌ .. يطيعون أوامري .. ولا يتجاوزون حدودَهم .

هنا دخَل عليه رجلٌ كبيرُ السنِ ، نظَر إليه قارونُ باستهتارٍ ، وقالَ له وهو يتناولُ قطفاً من العنبِ :

هل أحضرتَ المالَ ؟

قال الرجل : لا يا سيدي .

قال قارون : ولماذا أتيتْ ؟! لكي أستمتعُ برؤيةِ وجهِك الجميلِ ؟!

قال الرجل : سامحكَ اللُه يا بُنَيَّ .. لقد أتيتُ لكي أطلبَ منك أن تنتظر أياماً قليلةً ..

غضبَ قارون من كلامِ الرجل ، وضربَ طبقَ الفاكهةِ بيدِه ، وهبَّ واقفاً ، وقال للرجل وهو يشيرُ بإصبعهِ في شدةٍ : اسمْع يا هذا .. لن أنتظرَ دقيقةً .. سآخذُ أرضَك .

قال الرجل : لكن هذا ظلمٌ .. لا يرضي اللُه .. ولا يرضي نبيَّ اللُه موسي .

قال قارون : ظلمٌ ظلمٌ .. اذهبْ إلي موسي واشكُني له ..

وانصرف الرجُل الكبيُر حزيناً جداً .



قال قارون لأصحابه : اشربوا .. أريدُ أن أنسي هؤلاء القومَ وعادت الضحكاتُ تدوي داخَل قصرِ قارونَ مرةً ثانيةً .

وكان أصدقاءُ قارونَ يكثرون من مَدْحِه .. وكان قارونَ يحبُ أن يسمعَ هذا المدحْ .

لكنَّ الضَحك توقَّف عندما دخلَ علي قارونَ رجلٌ من علماء البلدِ . كان الجميع مدهوشين ..

وقد أحسَّ العالمُ بدهشةِ الناسِ ودهشةِ قارونَ ، فقال له : لن أطيلَ عليك ياقارونَ . ولكني أردتُ أن أنصحَكَ .

فتبرمَ قارونَ ، وتبرَّمَ الناسُ من حوله ..كلُّ واحدٍ يقولُ في نفسِه : هل هذا وقتُ النصيحة ؟ !

وقرأ العالمُ علي وجوه الحاضرين هذا الكلامَ ، فقال لقارونَ : ألا تحبُّ أن تسمَعني ؟

وأحس قارونَ بحرجٍ شديد ، فقالَ للعالِم : تَفَضَّلْ ..

قالَ العالمُ : أنت يا قارونَ أغني رجلٍ .. نعم هذا فضلُ اللّه يؤتيه من يشاءُ ..

فقاطَعهُ قارونَ قائلاً وهو يرفُع كفَ يده : هذا المالُ كوَّنتُه بشطارتي أنا ..

قال العالمُ : ومن الشطارةِ أن تكسبَ دائماً .

قال قارونَ : أنا أكسبُ دائماً .

قال العالم : في الدنيا فقطْ .

فنظَر قارونَ إلي العالِم بتأملٍ ، وقالَ له : لقد أتيتَ لتسلبَني مالي من أجلِ الآخرة .



قال العالمُ : لا ياقارونَ .. المالُ مالُك استمتعْ به ما شئتَ ، ولكنْ لا تسرفْ علي نفسك ، ولا تنسَ الفقراءَ والمساكينَ . أحسنْ إليهم كما أحسنَ اللهُ إليك . اعملْ للآخرة .

هنا صاحَ قارونَ بغضب : زيارتُك انتهتْ .

وخرجَ العالمُ بعد أنْ قالَ لقارونَ : لقد حذرتُك .. إنَّ غضبَ اللهِ شديدٌ .

ورجَّتْ هذه الكلمةُ قارونَ ، فأخفي اضطرابَه بقوله : هيا نعودُ إلي المتعةِ .. لقد عكر الرجلُ صفوَ جلستنا .

وقال قارون بحماسةٍ شديدة : غداً سأخرُج بموكِبي .. وأطوفُ .. وسأغيظُ هذا الرجلُ .

وللمرة الثالثة عادتْ الضحكاتُ تملأُ المكانَ حولَ قصرِ قارونَ .

وفي الصباح ، كان خدمٌ يسرعون لإعدادِ المركبةِ التي سيركبُها قارونَ ، ويزينونها .. وخدمٌ يُلبسونه ثيابَه التي سيطوفُ بها ، وخدمٌ يرصون أمامه الطعامَ الذي سيتناولهُ قبل أن يخرجَ ، وخدمٌ يصبونِ له الشرابَ ..

وخارجَ القصر ، وقف ناسُ كثيرون .. يتطلعون بعيونِهم إلي شكلِ العربةِ وهي تزين .

كان الناس مبهورين .. بعضهم يتمني أن يكونَ عندَه مثلُ قارونَ .. وبعضهُم يتمني أن يكون عندَه ربعُ ما عندَ قارونَ .. وبعضهُم يتمني أنْ يكونَ خادماً لقارونَ .



ووسط انبهارِ الناسِ ، خرج قارونَ . وما ان رآه الناسُ حتي فتحوا أفوهَهُمْ ذهولاً وإعجاباً بملابسِه ومظهرِه .. فأحسَّ قارونَ بسعادةٍ كبيرةٍ .. ولمَّا ركبَ مركبتَهُ .. نطر إلي الناسِ باحتقارٍ شديدٍ ، وركبه الغرورُ .. ضربَ خادمُهُ الخيولَ ، فجرتِ العربةُ بسرعةٍ .. وجري بعضُ الناسِ وراءه ، ووقف بعضُهُم مذهولاً .. وحقد عليه كثيرٌ منهم .

وقارون يسير بمركبتِه .. يريد أن يدوسَ الناسَ .. إنهم فقراءُ .. بعضُهُم يكرهني ؛ بسبب مالي .. وبعضُهُم يحبني ؛ بسبب مالي . حتي الذي جَاء لينصحَني ، كانَ بسبب مالي .

وعادَ قارونَ من موكبه .. وقررَ أن يخرجَ في مواكبَ أخري .

رأي نبيُّ اللهِ موسي أن قارونَ قد طغي بماله ، وتجاوزَ الحدَّ ، فذهبَ إليه ينصحُه .

لكنَّ قارونَ رفضَ النصيحَةَ .. فطالَبهُ موسي بحقِ الفقراء في المال ، فاستهزأ قارونَ . وقال لموسي : لقد جئتنا بدينٍ جديدٍ ، فأطعناكَ . وأمرتنا بأمورٍ غريبةٍ ، ففعلناها . ولكنْ يبدو أنَّكَ قد طمعتَ في مالي . ولن أعطيكَ منه شيئاً .. إنه مالي أنا . أما الفقراءُ الذين تتكلمُ عنهم ، فلا شأنَ لي بهم . لستُ مسئولاً عنهم حتي أصرفَ عليهم . وانصرفَ نبيُّ اللهِ موسي من عند قارونَ . . . ودبرَ قارونَ أمراً . . . فقد خرجَ إلي الناس ،



وقالَ لهم : يا قــومي .. إن مـوسي جــاءني يريدُ أن يــأخذَ من مــالي .ويدَّعي أنه سيعطيه للفقراءِ والمساكين .

سأله أحدُهم بدهشةٍ : نبيُّ اللهُ يريدُ أن يأخذَ من مالك ؟!

قال قارونَ : نعم .. وعندي شهودٌ كثيرون .. كلُّهم عدولٌ . إن مـوسي ، الذي يأمُـرنا بعـبادةِ اللهِ والالتـزام بدينه ، هو أبـعـدُ الناسِ عن الدين ، وعن عـبادة اللهُ . فـأرتـفـعتْ أصوَاتُ الناسِ ، واختلطتْ ببعضها .

فقال رجلٌ آخرُ لقارونَ : نحن لا نصدقُ أن يفعلَ موسي هذا

فنظــرَ قارونَ خلفـهُ ، نــادي : اخــرجي يا أمرأةُ .

فوقـفتْ أمامَ الجمعِ إمرأةٌ ، فسكتَ الناسُ ، وكلُّهم ينظرُون إلي المرأةِ ، ويتأملُ شكلهَا .

قال قارونَ : ماذا فعل موسي مَعكِ ؟

قـالت المرأةُ : لقد أغراني وأرادَ أن يـفعلَ مـعي الفاحشة .

ولكني إمرأةٌ شريفةٌ . . شريفةٌ . . . وأحني الناسُ رءوسَهم .

فـقـال قـارونَ : ألم أقلْ لكم إن مـوسي هو أبعدُ الناسِ عن اللهُ ؟ ! . . لقد أردتُ فقط أن أعرفكُم الحقيقة .. حتي لا تنخدعوا فيه مرةً ثانيةً . وانصرفَ الناسُ ، وهم يقولون :

لقد كنا نشكُ في أمر موسي . . . ولم يعُد أحدٌ يستـمعُ إلي مـوسي . . وأشتـدَ الأمـرُ عليـه . . . ولم يترك اللهُ نبيَّـهُ في هذه المحنةِ . فها هم القومُ محتشدونَ مرةً ثانيـةً أمام المرأةِ ، وها هي تبكي ، وتقول لهم : لقد أعطاني قارونَ مالاً .. لقد طلبَ مني أن أتهم نبيَّ اللهُ مـوسي .. إن مـوسي بريءٌ . إنَّهُ من أطهرِ الناسِ .



لقد تبتُ إلي اللّه .. ادعوا اللّه أن يغفر لي . . . وانصرف الناسُ ، وهم يقولولن : لقد كنا واثقين أن موسي بريءٌ . . . وعاد كلُّ واحدٍ إلي عملِه . . . وحاولَ نبيُّ اللّه موسي أن يُصلحَ من قارونَ ، لكنه كان متكبراً وعنيداً .

ولما يئسَ موسي من قارونَ ، دعا اللّه أن ينتقمَ منه ، ويجعلهُ عبرةً للناس .

وخرجَ الناسُ من بيوتِهم مسرعين .. كلُّهم يجرون ناحية قصر قارونَ .. وسمعوا صرخاتِه واستغاثاته .. ورأوه وهو يمُدُ يَده من بين أنقاضِ القصرِ ، ورأوا الأرضَ منشقةً وتبتلعُ خيولَه وخدمه وكنوزه .. ولم يستطْع أحدٌ أن يقتربَ منه ، ولا أنْ يفعلَ له شيئاً .

وعاد الناسُ إلي بيوتهم ، وهم يقولولن : الحمدُ لله .. إننا لسنا مثلَ قارونَ . . . لولا رحمةُ اللّه وفضلُه لخسفَ بنا نحن أيضاً .. إنَّ الكافرين لا يفلحون ..

وقال آخر : هيا بنا يا قومُ .. لا تخالفوا أمرَ ربكُمْ ؛ حتي لا ينتقم منكم .

وأدركَ الناسُ أن الرزقَ من عندِ اللّه .. وأن اللّه هو الذي جعلَ الغنَّي ليشكر ، ويعطي الفقراء ، وأدركوا أن الله جعلَ الفقيرَ ليصبرَ.

مطبعة الجبلاوى - ٢٠٢ شارع الترعة البولاقية - شبرا

I. S. B. N. 977 - 5242 - 21 - 5

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٥٤ / ١٩٩٦